الفاعل الذي يتأتى منه الفعل دون الترك ويتوقف فعله على وجود الشرط وا
نتفاء المانع وهذه الأقسام الثلاثة كلها موجودة عند الفلاسفة والطبائعيين
اهلكهم الله تعالى جميعهم ولم يوجد منها عند المؤمنين إلا واحد وهو الموجد بالاختيار
ثم هو خاص بواحد وهو مولانا جل وعز لا موجد سواه تبارك وتعالى وانما
فسرنا الكراهة بعدم الإرادة لنحترز بذلك من الكراهة التي هي من اقسام الحكم الشرعي
وهي طلب الكف عن الفعل طلبا غير جازم فتلك تصح ان تجتمع مع الإيجاد فيوجد
مولانا تعالى الفعل مع كراهته له اي نهيه عنه كما اضل الله تعالى كثيرا من الخلق
مع نهيه لهم عن ذلك الضلال اما الكراهة بمعنى عدم إرادة الله تعالى للفعل
فيستحيل اجتماعهما مع الإيجاد اذ يستحيل ان يقع في ملك مولانا جل وعز
ما لا يريد وقوعه فتنبه لهذه النكتة العجيبة في ذلك التقييد الذي قيدنا به
الكراهة في اصل العقيدة وبالله تعالى التوفيق ص وكذا يستحيل ايضا عليه تعالى
الجهل وما في معناه بمعلوم ما والموت والصمم والعمى والبكم ش مراده بما في معنى
الجهل الظن والشك والوهم والنسيان والنوم وكون العلم نظريا ونحو ذلك وانما
كانت في معنى الجهل لمنافاتها العلم حسب منافاة الجهل والمراد بالصمم والعمى في هذا
الموضع عدم السمع والبصر بوجود ما ينافيهما او غيبة ما من الموجودات عن
صفتي السمع والبصر لما سبق من وجوب تعلقهما بكل موجود والمراد بالبكم عدم
الكلام اصلا بوجود آفة تمنع من وجوده وفي معناه السكوت وفي معناه كونه
بالحرف والصوت اذ الكلام الذي يكون بالحروف والأصوات ولو بلغ غاية الفصاحة
والبلاغة وكان كمالا بالنسبة الى الحوادث الناقصة فهو بالنسبة الى مقام الالوهية
الأعلى نقيصة عظيمة اذ فيه رذيلتان احدهما رذيلة العدم التي تجب للحروف
والأصوات سابقا ولاحقا ويستلزم حدوث من اتصف به واي نقيصة اعظم
من نقيصة الحدوث الملزومة حقيقة الافتقار على التمام الثانية رذيلة البكم الذي
هو لازم للحروف والأصوات لانه مما استحال اجتماع حرفين في آن واحد فضلا
عن الكلمتين فضلا عن الكلامين تبكم المتكلم بالحرف والصوت واحتبس عن ان
يدل على معلوماته له في آن واحد بصفة الكلام المركب من الحروف والأصوات
فلو كان كلام مولانا العظيم جل وعلا بالحروف والأصوات لزم زيادة على رذيلة

الحدوث

الحدوث اتصافه تعالى عن ذلك بالحبسة التي هي اصل البكم عن الدلالة على
معلوماته التي لا نهاية لها بصفة الكلام بل تلزم الحبسة عن الدلالة به في آن
واحد عن معلومين له فاكثر فقد ظهر لك بهذا ان الكلام الذي يكون بالحروف والا
صوات وما في معناه من كلامنا النفسي ملازمان لمعنى البكم فيستحيل اتصاف مولانا
جل وعز بمثلهما وان الواصف لمولانا جل وعز بذلك مستند الى ان مثل ذلك الكلام في
حقنا كمال ينفي عنا رذيلة البكم قد وصف الله تعالى بنقيصة عظيمة تعالى عنها علوا
كبيرا ونظيره في ذلك نظير من عرف ان نهيق الحمير واصواتها كمال في حقها وكذلك
نباح الكلاب كمال في حقها فسأل عن صفة كلام ملك من الملوك لم يسمع قط كلامه فقال
هو مثل نهيق الحمير ونباح الكلاب معتقدا ان ذلك الصوت منهما كمال كما لا يمنع من
اتصافهما برذيلة البكم لزم ان اتصاف الملك بمثل ذلك كمال ينفي عنه رذيلة
البكم ومن المعلوم ضرورة ان الواصف للملك بمثل هذا قد استنقصه غاية الانتقاص
ووصفه باقبح انواع البكم بالنسبة الى نوعه الانساني وان لم يكن بكما بالنسبة الى نوع
الحمير وانواع الكلاب ولا شك ان كلامنا وان بلغ الغاية في البلاغة والحسن وهو
بالنسبة الى كلام الله تعالى ادنى مما لا حصر له من نهيق الحمار ونباح الكلاب بالنسبة
الى افصح كلام واعذبه اذ الحوادث كلها لا تفاضل بينها ولذواتها بل ما يقوم
ببعضها من صفة نقص او كمال يصح ان يقوم بغيره من سائر ذوات الحوادث
وانما مولانا جل وعز الفاعل بمحض الاختيار هو الذي فاوت فيما بينها وخص ما
شاء منها بما شاء من صفة نقص او كمال فاذا كان كمال بعضها نقصا عظيما بالنسبة
لغيره مما يقبل صفته ويشاركه في الحدوث فكيف يكون الحال فيمن يصف المولى العظيم
الذي لا مثل له ولم يشاركه شيء سواه في جنس ولا نوع بمثل اوصاف الحوادث
الناقصة التي هي كمال لائق بنقصانهم وهي نقص شنيع وارذله بالنسبة الى
جلال المولى الكبير المتعال وقد ورد عن موسى عليه الصلاة والسلام انه يسد اذنيه
بعد رجوعه من المناجاة وسماع كلام الله تعالى مدة لئلا يسمع كلام الخلق
من شدة قبحه ووحشة حقيقته بالنسبة الى كلام الله تعالى العظيم المتعال
ولا يستطيع ان يسمع كلام الخلق حتى تطول عليه المدة وينسيه الله تعالى
ما ذاق من لذة ذلك الاستماع لكلامه وقد نقل ابن عطاء الله عن ابي الاسم

Copyright King Saud University